أثر استخدام مساوئ المفهوم التعسفي في تفسير الآيات القرآنية

حسن علي جعفر
طالب دكتوراه، قسم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة إيلام، إيلام، إيران
hasn29589@gmail.com
الدكتور السيد محمد رضا حسيني نيا (الكاتب المسؤول)
أستاذ، قسم القرآن والحديث، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة إيلام، إيلام، إيران
Mohhos313@gmail.com
دكتور عبد الجبار زركوش نسب
أستاذ مشارك، قسم الفقه ومباديء القانون الإسلامي، كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية، جامعة إيلام، إيلام، إيران
a.zargooshnasab@ilam.ac.ir

The impact of using the disadvantages of the arbitrary concept in interpreting the verses of the Qur'an

Hassan Ali Jafar
PhD Student , Department of Quran and Hadith , College of Theology and Islamic Studies , University of Ilam , Ilam , Iran
Dr. Sayyed Mohammad Reza Hosseini Nia (Responsible writer)
Professor , Department of Quran and Hadith , College of Theology and Islamic Studies , University of Ilam , Ilam , Iran
Dr. Abdul Jabbar Zargooshnasab
Associate Professor , Department of Jurisprudence and Principles of Islamic Law , College of Theology and Islamic Studies , University of Ilam , Ilam , Iran

الملخص:-

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر التعسف في الشريعة الإسلامية، إذ يُرفض التعسف رفضًا قاطعًا في جميع مجالات الدين، سواء في التفسير أو في أصول الدين وفروعه. وأجمع علماء التفسير على بطلان التفسير التعسفي، إذ يؤدي إلى إشكالات منطقية وعلمية في فهم النصوص القرآنية. كما أنه لا يوجد تفسيرا جامعا مانعا للنصوص الشرعية إلا عند النبي ﷺ، لأنه تلقى الوحي مباشرة من الله سبحانه وتعالى. وقد وقع الخلاف في تفسير العديد من الآيات، حيث تم تأويلها بطرق تخالف المعنى الذي نزلت من أجله. ومن هنا فإن التفسير القائم على مخالفة التنزيل والتأويل الصحيح يُعد تفسيرًا تعسفيًا، مما يؤثر على استنباط الأحكام الشرعية والعقائد الدينية.

الكلمات المفتاحية: التعسف، الرأي التفسيري، الخصائص، المباني التفسيرية، المعايير الشرعية، التفسير التعسفي.

Abstract:-

This research aims to study the impact of arbitrariness in Islamic law. Arbitrariness is categorically rejected in all areas of religion, whether in interpretation or in the fundamentals and branches of religion. Scholars of interpretation unanimously agree that arbitrary interpretation is invalid, as it leads to logical and scientific problems in understanding Quranic texts. Furthermore, there is no comprehensive and exclusive interpretation of religious texts except that of the Prophet (peace and blessings be upon him and his family), as he received revelation directly from God Almighty. Controversy has arisen in the interpretation of many verses, as they have been interpreted in ways that contradict the meaning for which they were revealed. Therefore, interpretation based on contradiction of the revelation and correct interpretation is considered arbitrary interpretation, affecting the derivation of Islamic rulings and religious beliefs.

Key words: arbitrariness, interpretive opinion, characteristics, interpretive foundations, legal standards, arbitrary interpretation.

المقدمة:

يعالج هذا البحث الحد من الآراء التعسفية في جميع العلوم لاسيما علم التفسير، وحيث إن الدافع لكتابة البحث هي رد (التفسير بالراي التعسفي) من القران والسنة والعقل، فالذي فسر الآيات القرآنية تفسيرا بالرأي التعسفي، عطل التفسير الصحيح عند المسلمين، وعطل كثير من الفرائض والأحكام، وحيث امرنا الله في مواضع عديدة بوجوب إتباع النبي ليبين احكام الشريعة والنظام العام، كمافي قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1]، إن الإشكال الذي طرحته (حول عدم جواز التفسير بالرأي الاجتهادي التعسفي) هو رأيا تبناه بعض مفسرو فرق المسلمين، وقد رددت الأشكال والآراء في محله بطرقا علمية، وأفقناهم على بعض الآراء المتفق عليها عند كثير من الديانات فضلا عن المسلمين، وكذلك قول الحق واتباع الصدق ممدوح شرعا وعقلا عند الفرق الإسلامية والملل البشرية فضلا عن الإنسانية. بسبب الحرص على الشرائع الالهيةالغراء، وعدم إضاعة كثير من المفاهيم والأبحاث والحقائق القرآنية بـ(التفسير بالرأي التعسفي) وإعطاء كل ذي حق حقه، وأضاعة مبادئ الإسلام، وأهميته تكمل في المنافع المادية والعملية، لاسيما الكمالات الروحية وسمو النفس والإرتقاء بها للمقامات المعنوية (السفر للملكوت بتزكية النفس) عن طريق الآيات الخاصة بذلك التي تفتح أبواب المعنويات والعوالم الغيبية وغيرها، والبعض فسرها تفسيرا تعسفيا أضاع منها أسرارها وأنوارها خصوصا التفاسير الباطنية والعرفانية للآيات ووصف تفسيرهم بانه شطحات في الدين وتفسيرا شاذا، وكذلك دحض الأدلة الواهية التي تريد تسقيط خصائص التفسير بصورة دقيقة. وقد أسندت البحث إلى المفاهيم القرآنية ونهج الرسول ﷺ في سيرة حياته التي عاشها خلال فترة رسالته الخالدة.

اعتمدت في منهجية البحث منهجا وصفيا تحليليا للمعايير المتبعة التي أدت إلى التفسير بالرأي التعسفي، مدعوما بالبراهين ومستدلا بالحجج عليها عقلا ونقلا.

الفصل الأول

التفسير بالرأي التعسفي

نظرا لاهمية التفسير الايجابي في الدين الإسلامي، ومن أجل تفسيرا نقياخاليا من التعسف، يجب أن نتعرف على قراءة صحيحة في حالات الاختلاف في القراءة، ويتحدد معيار القراءة الصحيحة في علوم القرآن. بالإضافة إلى الأساسيات والتلاوات الصحيحة، يتم أيضًا تدقيق مبادئ وقواعد التفسير في العلوم القرآنية، وبدون الحصول عليها، لن يكون الفهم المنهجي للقرآن ممكنًا، وإمكانية الوقوع في فخ التفسيرات الخاطئة (التفسير التعسفي) كبيرا جدا. وأيضاً بدون معرفة بعض موضوعات علوم القرآن، لن يكون الفهم الصحيح للقرآن كاملاً ممكناً وسيضع المفسر في بعض الحالات تفسيرات تعسفية. وقد نوقش الجدل حول القرآن ومعرفة قضاياه المختلفة منذلبداية نزوله، وعلى مر التاريخ ناقشوا العلماء في هذا المجال وتركوا مؤلفات راقية كثير جدا. وعلوم القرآن هي مجموعة من العلوم الضرورية لفهم ومعرفة وتعالىم القرآن بشكل أكثر دقة، لذلك من الضروري أن يعرف كل مهتم وعالم وباحث في علوم القرآن هذه العلوم الشريفة. القرآن كتابا إلهيا، وأعظم معجز واهم معجزات النبي ﷺ الخالدة، وهو الكتاب الوحيد القادر على تلبية جميع متطلبات المجتمع البشري بكل أبعادها، وبأفضل طريقة وتوجيه الإنسان إلى أعلى درجات السمو والرقي والكمال، والنمو والتطور. لتحقيق هذا الهدف العظيم، هناك حاجة إلى قدر كبير من العلوم والمعرفة لجعل الشخص، لديه فهما عميقا لهذا الكتاب السماوي، ومن بين العلوم التي تقرب الشخص لهذا الهدف؛ إنها الدلالات في الواقع، بل إن علم الدلالة من العلوم التي لطالما جذبت انتباه الباحثين في علم اللغة واللسانيات، ويلعب الاهتمام بها دوراً مهمًا في فهم النصوص الدينية وتفسير آيات القرآن، لإن المعنى الدقيق للكلمات يتطلب تدقيقاً معجميًا للأدلة أيضًا، وقد تمت كتابة العديد من الدراسات والبحوث حول دلالة الكلمات في القرآن. وأهتم اللغويين والمفسرين بالدلالة على نطاقا واسعا أو اقتصروا على تدقيق كلمات قرآنية معينة. ومع ذلك فإن تفسير القرآن يختلف عن المعجم، على الرغم من أن المفسر يجب أن يكون أيضًا مؤلفًاأو متضلعا لقواميس المعاجم.

المطلب الأول ـ متغيرات التفسير التعسفي:

من متغيرات البحث مدخل تعريف مفاهيم البحث لغة واصطلاحا:

أولاً - التعسف لغة: أصله من الفعل الثلاثي عسفَ يعسف عسفًا فهو عاسف، والمفعول معسوف، تعسف فلَان فلَانا إِذا ركبه بالظلم ولم ينْصفه. ورجل عسوف إِذا كَان ظلوماً، والعسف: ركوب الأمر بلا تدبير ولا روية، قال ذو الرمة [٢]:

قد أعسف النازح المجهول معسفة في ظل أغضف يدعو هامه البوم

ثانياً - التعسف أصطلاحا: أن يأخذ الحكم على غير طريق ولا جادة ولا علم فنقل إلى الظلم والجور.

المطلب الثاني ـ دلالة وطرق استخدام الآيات القرآنية للحد من الرأي التعسفي:

أ. الشكل البياني للدلالة، يتم ذكر هذه الآثار والاستخدامات بشكل عام في شكلين مختلفين، الأبطال والإثبات. وفي صورة الأبطال، يستفيد المفسرون من ظهور الآيات المحكمة للبيان عن وجه الفساد وبطلان للتفسير القرآني المعارض، وفي الموارد التي يكون ظهور آية مشابه يصر المفسر على تأكيد وجهة نظره. وفي شكل الأثبات والتأييد ففي تفسير آية الولاية، تثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبي بلا فصل.

ب. يمكن رؤية نوعية دلالة الآيات ومضمونها، لفهم مضامينه الظاهرية لآيات القران بطرقتين ظاهرية وغير ظاهرية بعبارة أوضح: أحيانًا يكون استخدام نصوص الآيات وظهورها واضحًا جدًا. وذهن الإنسان يفهمها بدون تعقيدا وتكليفا ويجد مفهومها وأساسياتها ولوازمها واضحة، دون بحثا وجهدا، وهو بالطبع في الغالب ضمن ذيل الآيات المتعلقة بالمعتقدات أو الآيات التي تدعم بطريقة ما المبادئ الأساسية والأصول والمباني للمعتقد. لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣]. لا تعتبر الروايات التي تدل على عدم جواز التفسير بالرأي، عائقاً أمام التفكير في النص القرآني وفهم ظهور الآيات؛ لكنه يمكن تقسم معاني الآيات القرآنية إلى أربع أقسام، القسم الأول منه لاتدركه المعرفة البشرية:

١. الآيات التي تكون معرفتها مختص بالله، مثل المعرفة الدقيقة بزمن القيامة كما في قوله

تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

٢. آيات يتطابق ظهورها مع معناها الداخلي، ويفهم كل من يعرف اللغة العربية معناها، مثل حرمة قتل النفس كما في قوله جلاً وعلا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥].

٣. آيات مجملة لا يدل ظهورها على تفاصيل معانيها، مثل القيام بتفاصيل مناسك الحج في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٦]، لا ينبغي الحصول على معاني هذه الآيات إلا من أقوال وأفعال وتقرير الرسول الكريم والأئمة عليهم السلام، وفي هذه الحالات لا يمكن التأويل على أساس الرأي أو تقليد المفسرين الآخرين، إلا إذا كان رأي المفسرين مسألة أجماعا وتوافقا.

٤. الآيات التي تحتوي على كلمة معينة، من المحتمل وجود معنيين أو أكثر لها. لماذا لم ينزل القرآن كاملاً على هيئة آيات محكمة، حتى يفهم منه المفهوم الواقعي (معناه الحقيقي) من ظاهر الآيات؟ وحقيقة أنه أمكن ذلك؟ وكان عند الله ممكنا؟ يقول الشيخ الطوسي: المصلحة تقتضي استعمال الألفاظ والكلمات بما يزيد من قوة العقل والتفكير والاستدلال لدى القراء، وتتحمل المعاناة في فهم الألفاظ والآيات، حتى يصل إلى مرتبة ومقام العلماء ومكانتهم. الذين حاولوا فهم الآيات[٧]. وأيضا رداً على المعارضين الذين قالوا: لماذا ذكر الله تعالى في القران آية: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٨] ويعتبر أن الآيات القرآنية محكمة وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾[٩] وقد قدم الآيات القرآنية على نحو المتشابه، وفي الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٠]، بعضها

محكم وبعضها متشابهة؟ قال) لا تناقض في ذلك) لأن معنى الآية التي تقول بأن الآيات كلها محكمة، أنه ليس فيها فساد ولا تناقض ولا تباين ولا تعارض، بل في النهاية هو الثبات والإحكام، والوصف المتشابه في الآية الأخرى، والسبب يرجع إلى أن القرآن يريد أن يقول: بعض الآيات متشابهة مع غيرها ولا يوجد فيها تضاد أو تناقض. وفي الآية التي يصف فيها القرآن بعض الآيات بالمحكمة وبعضها متشابهة. والغاية: أن الآيات التي يمكن فهم معناها من ظاهرها فهي محكمة، والآيات التي يستنبط فيها المعنى بآيات أخرى فهي متشابهة. وهكذا جاءت الآيات المذكورة. وبهذا المعنى لا يتعارض كل منهما مع الآخر ولا يوجد أي تناقض، وما قالوه في هذا لا أصل له من الصحة. والشيخ الطوسي يقول: أن بعض الآيات متشابهة، ولهذا ينبغي للناس أن يهتموا بالقضايا العلمية، وأن يضطروا إلى التفكير، فتظهر منزلة ومقام العلماء ومكانتهم. ويجب تفضيلهم على غيرهم(١١). قال في بحث الآية المشابهة: الآية المتشابهة هي التي اختلف تفسيرها، وليس الجميع على فهم واحد لها، مثلاً في كلمة (أستوى) في الآية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(١٢) والتي تستخدم في عدة حالات ومن المحتمل أن تعني (استواء الجالس على السرير) ومن الممكن أيضاً أن تعني الفتح، تماماً مثل قول الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وذكر الشيخ الطوسي، في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾(١٣) قال: ومعنى القربة تصرف وقبض مال اليتيم، وسبب تملك اليتيم هو الموضوع، وهو: إذا لم يكن للمسلمين أن يملكوا مال أحد، فذلك لأن اليتيم لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وليس له أب يعوله، فالناس أكثر حرصاً على مال اليتيم، وقد ونهى القران الكريم عن تمليك أموال اليتيم. ولأهمية اليتيم وحرصه عليه وأهمية هذه المسألة فقد جاء ذكرها في قوله (ولا تقربوا مال اليتيم)(١٤). في شرح جملة (إلا بالتي هي أحسن) وذكر الشيخ الطوسي ثلاثة أوجه:

١.حفظ مال اليتيم حتى يبلغ ثم يسلمه إليه.٢. إثراء ذلك المال في وسائل التجارة. ٣. وجوب الولاية على اليتيم. وعلى المفسر الحاذق تجنبا للتعسف قراءة الحديث لفهم معاني الآيات. ويعتبر الحديث الذي هو المصدر الثاني للتشريع، جاء لفهم المجمل والتفصيل في

أحكام الآيات، وبما أن بعض الآيات ظاهرها واضحا، والمخاطب بها من العرب وغيرهم، يفهمون اللغة فلا حاجة لتفسيرها، بل المخاطب يفهمها، وأما باقي الآيات فلا بد من الرجوع للحديث لمعرفة دلالة الآيات، ولمعرفة وفهم الأحكام أرجعناالرسولﷺ إلى امرين فقط لا ثالث لهما، فعن زيد بن أرقم قال: (قام رسول الله يوماً خطيباً، بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...))[١٥].

ومن هنا لابد من الرجوع للسنة الشريفة وحتى لا نقع في الأحاديث الموضوعة، وأرشدنا رسول الله، فقال: (إِنَّهَا تَكُونُ بَعْدِي رُوَاةٌ يَرْوُونَ عَنِّي الْحَدِيثَ، فَاعْرِضُوا حَدِيثَهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ فَمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ فَخُذُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يُوَافِقِ الْقُرْآنَ فَلَا تَأْخُذُوا بِهِ)[١٦]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١٧]. قال بعض المفسرين من أهل السنة ومنهم الفخر الرازي في التفسير الكبير فقد حاولوا الاستدلال بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٨]. لإثبات خلافة الخليفة الأول وفسر الآية الشريفة تفسيرا تعسفيا حيث يزعم وهو يمتدح المجاهدين الذين قاتلوا المرتدين بعد وفاة النبي الكريمﷺ، وأبو بكر هو قائد المقاتلين، ومثالا واضحا للصفات المذكورة في الآية. ولذلك فهو حبيب الله، ونتيجة لذلك فهو صادق في ادعاء خلافته. وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١٩]. يا نبي! بلغ للناس ما أنزل إليك من ربك، وإلا لم تقم بمهمته، والله يعصمك من الأخطار المحتملة من الناس، (والله لا يهدي القوم الكافرين)) ولا كل عنيد)[٢٠]. وفي الروايات والكتب التفسيرية والتاريخية للشيعة، هناك العديد من الأخبار التي تنص بوضوح على أن الآية السابقة؛ تتحدث عن واقعة الغدير وتنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة، وخليفة لرسول اللهﷺ. وقد أكد الفخر الرازي هذه المسألة أيضاً. وعندما يكون هناك فاصل بين العام والخاص، ففي هذه الحالة يكون التخصيص من نوع

منفصل؛ وقد ذهب الفخر الرازي إلى هذا النوع من التخصيص فرأيه الشخص مثلاً يحرم ذبيحة أهل الكتاب إذا ذكر فيها اسم غير الله؛ ويقول في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[٢١] فهو عام، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٢]. خاص والخاص مقدم على العام[٢٣]. تفسيره للآيات تعسفيا. ولآبد للمفسر من تفسر القرآن وفقا لتفسيرا منهجيا منظما.

الموضوعات المهمة لعلماء وطلاب الدراسات القرآنية، ولما كانت بعض المشاكل في القرآن مرتبطة بالقضايا المهمة، فمن المفارقات أن العديد من العلماء حاولوا تحليل محتوى النص القرآني وإثبات معجزاته. القرآن الكريم مصدر تشريعي وأخلاقي وعقائدي وإرشادي له أسس ومبادئ وخصائص واضحة. ويجب تفسير آياته الشريفة بناءً على الغرض منها، وبعيداً عن التظاهر والتحيز الطائفي، وتحت تأثير التخيلات النفسية، يجب استنتاج تعاليمه بناءً على قوانينه لاستنباط أحكامه. فهو نقي لا تشوبه شائبة لأنه المصدر الأول للتشريع والتوجيه البشري للحفاظ على فهم المجتمع والفرد، ومن خلال الرجوع إلى الحديث النبوي ونقاوته في معرفة معناه ومبتغاه، واستناداً إلى أصول اللغة ومعانيها، لذلك أن اردنا أن نصل إلى حقيقة معنى النص القرآني الموحى من الله سبحانه وتعالى، فلنفهم أنه لا يحكم على كل الأشياء بعقلانية، فربما يكون بعضها فوق حد العقل، لذلك ليس لدينا سوى ذلك(الطاعة والتعبد)، وعدم الإساءة في فهم النصوص والكتب السماوية والصحف بما فيها النص القرآني، وعدم الرجوع إلى السنة الصحيحة، والتحريف وإدخال بعض البدع والتزوير والحذف وقللوا وأضافوا في الأحاديث وتفسير بعض الآيات، لأن بعض المفسرين يتأثرون أحياناً بتعاليم مدرسته. وهناك عوامل أخرى تؤدي إلى الاجتهاد في النص والتفسير بالرأي أو بسبب الغموض في بعض الآيات. تم وضع العديد من الأحاديث، بما في ذلك الأحاديث التفسيرية، وصرف الكثير من الأموال على التحريف، حيث شارك فيها بعض المفسرين والفقهاء والقضاة والسلاطين والمحدثين لإبداء الرأي. في خدمة جهة معينة، فيكتب منهجه فقط على تفسير النص القرآني، وبعضهم بحجة أن القرآن هو القرآن، ذهب إلى درجة عدم فهم نصوصه من أجل تعطيل جوهرة العقل. ونزل على الرسول الكريم، فلا يفهمه إلا النبي والمعصومين... ومنهم من يأخذ أحكامه من القرآن فقط (يعتبره كتاب الله)

(لا حكم إلا الله) ولا يأخذ بالسنة ثاني مصدر التشريع... ومنهم من يأخذ بالسنة فقط، بحجة أن من نزل عليه القرآن يفهمها وحده، ومنهم من يزنه بالمعقول، فيترك كل شيء ما عدا العقل، فما يحسنه ويحبه العقل فيأخذ به، وما يكرهه العقل فيتركه، ويشبهه بشيء آخر لأجل الحصول على حكم مشابه كالقياس والاستحسان وسد الذرائع، وبعضهم يخلط في الأحكام بين الدين والعلمانية، وهذا ديدنهم أصحاب الحرية الفكرية والميول آلا دينية. وهذا كله يعد تعسفا بحق النص القرآني وتفسيره وأحكامه. نعتبر أهمية هذا البحث وهو التفسير، حيث يتجلى من القواعد والخصائص والقوى التي تجعله من ثوابت تفسير القرآن، ويرجع في حالة الخلاف بين المفسرين. لأن هذه هي القواعد والقوانين الأساسية هي التي توازن المفسر حسب طبقاته وآرائه المختلفة. ظهرت أيضًا تفسيرات عديدة ومتنوعة، مثل التفسير اللغوي والخطابي والنحوي والموضوعي والعلمي، والعرفاني، والباطني، والفلسفي... كما لا ننسى دور الحكومات التي حكمت باسم الدين، مثل الحقبة الراشدة والحكومات الأموية والعباسية، لما لعبوا من دورا كبيرا في تقديم تفسيرا تعسفيا.الدخول في هذا النهج وطريق التأويل التعسفي، ورفض فضائل ونصوص الخلافة الإلهية والأدلة الشرعية الداعمة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. فيجب أن يكون للمفسر صفات ومميزات، وله علم بالناسخ والمنسوخ، والمقيد والمطلق والمتقدم والمتأخر والعام والخاص والتخصيص والأحكام وأسباب النزول، والزمان والمكان، ونحو ذلك، ودقة اللغة العربية، وتجنب الأهواء والتأويلات، ووجوه الموافقة والقياس. ويهدف هذا البحث إلى مراجعة وتطهير تفسير القرآن على أفضل وجه ممكن، خالا من كل الأخطاء التي تم الخلط بينها في تفسير آياته بسبب تأويلات تعسفية ليست مبنية على مبادئ وقيم فتكون لغوا وعبثا. إن منهج ومبنى الفرقة الحقة في تفسير القرآن والحديث، هو منهج المعصومين عليهم السلام وأبعد ما يكون عن التأثر بالأهواء والأوهام والآراء والتفسير بالقياس، والاجتهادات الخاطئة (الاجتهاد مقابل النص). إن تقديم التفسير الصحيح للآيات القرآنية أمر ضروري، ويزيد من إلمام الجيل الحديث بالمفاهيم القرآنية والتفسيرية. لأنه من الضروري تكييف القضايا الجديدة مع الآيات القرآنية بشكل صحيح حسب التقدم الذي يحرزه العالم (المفسر). إن مجرد عدم التطرق لبعض الموضوعات في كتب العلوم القرآنية لأسباب مثل عدم أهميتها مقارنة بالموضوعات الأخرى، واتساع نطاق الموضوعات، ونحو ذلك ليس ترخيصًا لإبعادها عن المواضيع

الأخرى. فمجرد أن صفته وعنوانه عالم بـ (العلوم القرآنية)، فيسمح له بالخروج عن مجال العلوم القرآنية، وهذا في حد ذاته يعد تعسفا. وعلى سبيل المثال، لا تتم مناقشة تجويد القرآن في الكتب المشهورة لعلوم القرآن، ولكن بما أن التجويد هو أحد الموضوعات الخاصة بالقرآن، فهو مدرج في نطاق هذه المعرفة. وبناءً على ذلك، فإن رأى بعض مفكرين الدين، بناءً على وجود كتابات مستقلة في موضوعات مثل تاريخ القرآن، يعتبرونه منفصل عن علوم القرآن والعلم به، لا يبدو له علاقة بالتفسير وعلوم القران؛ وبنفس الطريقة، إذا تمت دراسة أحد موضوعات علم المبادئ بشكل مستقل، فإن هذا لا يعني إزالة هذا الموضوع من معرفة المبادئ. إن فهم كيفية تقديم التفسيرات يوضح بعض هذه الالتباس. إن التطور الذي يحدث في حداثة العلم بشكل عام وخاص ماهو آلا لصالح علم التفسير، لأن القرآن يحتوي على العديد من العلوم التي تواكب التطور العلمي والحضاري والواقعي، فهي موافق ومؤيد له. تمت تنقيتها بحيث لا تكون هناك تفسيرات اعتباطيه خارجة عن تصور العقل وغير مقبولة تماماً. أن أهمية هذا البحث والتحقيق من أهمية الموضوع لحمايته والحفاظ على التفسير من خلال توفير طرق وحلول فعالة للتصحيح. التفسير في كل الظروف وهو بعيد عن التفسيرات التعسفية لحمايته من التطرف والتعصب الطائفي... ويكون التفسير من واقع أهل البيت عليهم السلام. عند الحديث عن ضرورة علوم القرآن وفوائدها، ذكرنا العلاقة بين علوم القرآن وعلم التفسير. علم التفسير هو شرح معاني آيات الله ومراده ومقاصده، ويسعى المفسر إلى تفسير كلام الله. لذلك، قبل الدخول في تفسير النص القرآني، يجب أن نتبنى سلسلة من الأسس. يتم تنظيم بعضها للوصل للتفسير الصحيح والابتعاد عن التفسير التعسفي.

المطلب الثالث ـ امثله التفسير الجدلي ومناقشتها:

الوجه الأول: الاستدلال على الرد له عدة وجوه: الوجه الأول: لا نقبل أن الإدراك البصري هو الرؤية، ما معنى كلمة أدراك في الأصل الكلمة لمعنى الوصول والربط، كما قال أصحاب موسى في ذكر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[٢٤] أي قال أصحاب موسى، سيصل إلينا أصحاب فرعون. وقال أيضا: حتى وهو يغرق: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢٥]. أي عندما بلغه الغرق. وفي العادة يقولون: أدراك فلان (فلان

وصل فلان) وأدراك الغلام بلغ العبد سن البلوغ؛ وإدراكات الثمرة (الثمرة الناضجة). لذلك اتضح أن الفهم يصل إلى شيء ما. بما أن هذه الفرضية معروفة، يمكننا القول إنه إذا كان المرئي له حدود ووصلت العين إلى جميع حدودها وجوانبها، أي جعل الإدراك البصري، فإن هذه الرؤية شاملة وتسمى الإدراك؛ لكن إذا لم تصل إلى كل محيطها وجوانبها، فلن يسموها تصوراً. والنتيجة هي رؤية مادية، تحتها نوعان: المنظر المقيد والمنظر غير المقيد. والمنظر المحيط هو ما يسمى الإدراك، ونفي الإدراك في هذه الآية يعني نفي نوع النظرة، ونفي النوع لا يسبب جوهر النوع. لذلك لا يلزم إنكار تصور الله تعالى لإنكار رؤيته. وهذه طريقة مقبولة لرفض أقوال الخصوم. وإذا قالوا إنك بقولك إن الإدراك مخالف للرؤية، فقد حطمت تماماً جوانب الأشياء الأربعة التي تضمنها تفسير هذه الآية في إثبات رؤية الله، فسنجيب، وهذا مستحيل. ماهو التصور الخاص للرؤية؟ إثبات الأسباب الخاصة دليل العام؛ لكن نفي الخاص لا يؤدي إلى نفي العام.

الوجه الثاني: نحن نقبل أن الإدراك البصري هو الرؤية، ولكن لماذا تقول ذلك {لا تدركه الأبصار} يعني النفي العام؟ هل يعني نفي كل الناس، كل الظروف وكل الأوقات؟ لكن حقيقة أنك اتخذت صلاحية الاستثناء كدليل على النفي العام يتعارض مع صحة الاستثناء من الجمع قلت جمع قلات هو جمع يشير إلى ثلاثة إلى عشرة ويستند إلى وزن (أَفْعُلْ، أَفعال، أَفْعِلَة، وفِعْلَة). في سياق هذا البحث، أبصار هي جمع قلة وهو على وزن الأفعال. لأن البيان لا ينفي بشكل عام. بالطبع، إنه يؤثر على الجمهور، لكن نفي العموم يختلف عن عموم النفي؛ أن هذه الكلمة والعبارة تعنيان فقط نفي العام وقلنا إن نفي العام دليل على الخاص. يقول الفخر الرازي في تفسير {لا تُدركُهُ الأبصار} لديه نفي عموم وليس عموم النفي، مما يعني أنه لا يمكن لأي من عيون الإنسان الحالية، في العالم أن ترى الله، ولا أن الله لا يُرى بأي عين أخرى بمعنى أو أحساس، أو مدرك. ويقول إن النفي العام يتسبب في إثبات الخاص. أي أنه لا يمكن أن تراه أي من هذه العيون البشرية الحديثة، لكنه مرئي ومرئي بطبيعته. ولكن رداً على قولهم إن عائشة تمسكت بهذه الآية في نفيها للرؤية نقول: يتم تعلم معرفة المفردات من مؤلفي المعاجم، لكن جودة التفكير واللجوء إلى الأدلة التقليدية ليست كذلك. والنتيجة أن العقل العقلاني يدل على أن {لا تدركه الأبصار} هو نفي العام، وقد ثبت بوضوح بالعقل أن نفي العموم يختلف عن عموم النفي. ولو كانت

الآية تتضمن النفي العام ولو كانت كذلك لتحققت مقاصدهم، وإذا لم يكن كذلك فكلامهم وحججهم باطلة.

الوجه الثالث: أن صيغة الجمع، كما أنها محمولة على الاستغراق، فهي محمولة أيضاً على معهودا سابقا، فـ {لا تدركه الأبصار}. ومن معاني البصر الشائع في العالم أن الإنسان والعين البشرية لا يدرك الله ولا تراه. وبناءً على هذه المقدمة نقول إن هذه العيون وحدقتها والبؤبؤ لن يدركوا الله ويقابلوه ما داموا على صفاتهم الدنيوية الراهنة. إنهم لا يدركون الله ولا يرونه. وعندما تتغير صفاتهم وأحوالهم، فسوف يدركون الله. فلماذا تقول إنهم لا يرون الله رغم التغيير؟

الوجه الرابع: إذا قبلنا أيضًا وسلمنا بأن العين لن ترى الله تعالى أبدًا، فلماذا لا يمكن إدراك الله سبحانه وتعالى من خلال الحاسة السادسة التي تتعارض مع الحواس الموجودة كما يعتقد ضرار بن عمرو؟ بهذا القدر، لن تكف المعتزلة عن التشبث بهذه الآية.

الوجه الخامس: ولنفترض أن لهذه الآية ذات معنى عام، ولكن يجب أن يؤخذ بالاعتبار، أن الآيات التي تشير وتثبت رؤية الله تعالى خاصة، والخاص يقدم على العام. وفي هذه الحالة ينتقل الكلام من هنا إلى هذا الموضوع، فهل هذه الآيات الخاصة تدل على تحقيق الرؤية أم لا؟

الوجه السادس: بحسب الآية نقول إذا قبلنا وسلمنا أيضا انه على قولك فإن الأبصار لا يدركون الله عز وجل فلماذا تقول إن المبصرين لا يدركونه؟ وهذا هو مجموع أسئلتنا وإجاباتنا على الوجه الأول.

وأما الوجه الثاني هوأنه لو كانت رؤية الله تعالى ممتنعة في الأصل، فإن نفي الرؤية الصورة لا يشمل الحمد والثناء. بل إن مدح وثناء الله لنفسه كان حقيقياً، عندما كان ظهوره ممكناً بطبيعته، ثم ستر الله تعالى بصر من رآه. وبهذا القول دحضوا أقوالهم وحججهم المعتزلة سوف تنهار، ثم نقول: غير الممكن أن يكون النفي المحض سبباً لحصول المدح والثناء. لأن النفي المحض وعدم الإقصاء لا يؤدي إلى المدح والثناء، والعلم بهذه المسألة العلمية ضروري بديهي. بل متى كان النفي د ليلا لحصول صفات المدح والثناء الثابتة، ويقال إن هذا النفي موجب للمدح والثناء. فإذا كانت حاسة العين سليمة ولا خلل فيها،

وكان البصر في حالة اليقظة، وتوفرت الشروط اللازمة، ومن جملتها ألا يكون البصر قريباً جدا، من المبصر ولا بعيداً عنه. ولا يكون بينهما الرائي والمرئي الباصر والمبصر حجاب معتم، ويكون ظاهرا أمام الشعاع، أو في حكم مساويه له، مع جميع هذه الشروط يجب تحقيق الرؤية. وماذا لو مع كل ذلك وأيضا لا تحقق الرؤيا؟ إن انتفاء الفاصلة بين المسافة القريبة جداً والمسافة البعيدة جداً والحجاب ومقابلة الله ممتنع. وإذا كانت رؤيته صحيحة وجائزة، فالشرط الوحيد المقتضي لتحقيق حصول هذه الرؤية وسلامة الحواس وحضور المرئي وهو الله وقد تحقق هذان المعنيان الآن حاصل. وإذا كان -الله جل علاه-كذلك أن رؤيته صحيحة جائزة، فيجب أن تتحقق حصول رؤيته في هذا الوقت الزمان. وبما أن هذه الرؤية لم تتحقق -غير حاصلة، فإننا ندرك أن الله -جل علاه-ممتنع الرؤية. أن كل ما هو ظاهر فهو بالضرورة إما مقابل الرائي أو حكم المقابل؛ والله تعالى ليس كذلك لذا امتناع رؤيته مؤكدة. وفي الجنة إذا رأى أهل الجنة الله فكيف يمتع بأهل النار عن رؤيته؟ فهل ينبغي من الضروري أن يكون الله قريبا منهم أم يكون ضدهم على هذا النحو بحيث يسوء حالهم السنوات في أمام قبال الله يكون مخالف حال أهل النار، وهذا القول يقتضي أن يكون الله جسم، فيجوز له القرب والبعد والحجاب. وقد يقال إن المؤمنين فقط قادرين على رؤيته، وفي بيان جوانب البراهين على رؤية المؤمنين لله تعالى فطلب موسى عليه السلام رؤية الله، وهذا دليل على إذن رؤية الله. علق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل مكانه وقال {فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}. ويجوز تثبيت الجبل في مكانه، وأما قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فذهب بعض المفسرين إلى جواز الرؤية لكن يوم القامة فقط، ومن جملة الأحاديث المشهورة (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رويته) (سترون ربكم عما قريب كما ترون القمر ليلة الرابعة عشر، والظلم والرحمة في عينيه). اعلم أن هذا التشبيه يتعلق بمساواة ظهور الله بظهور القمر من حيث والوضوح، كما يقول جمهور المسلمون بالاتفاق، أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٦]، (قال الحسنى الجنة، والزيادة إلى حضرة الله. كما اختلف الصحابة، هل رأى بمعراجه الله أم لا. ولم يكفر أي منهم الآخر على هذا الوعد، الوعد بالرؤية أو ينسب إليه البدعة والضلالة. وهذا بحد ذاته يدل على أنهم الصحابة أجمعوا على هذا الأمر على أنه لا يوجد رفض فكري لرؤية الله.

وكان هذا كل ما قلناه حول مسألة رؤية الله)[٢٧] ومن جملة المباحث التي أثيرت في التفسير، علم مفردات القرآن، والبحث بالمرادفات والمشتركات اللفظية والمتضادات. ويختلف العلماء في وجودها أو غيابها في اللغة العربية وكذلك في القرآن، بالطبع دخلت هذه الاختلافات في الرأي إلى مجال التفسيرات. ومناقشة بعض العلاقات الدلالية بين الكلمات، بما في ذلك المرادفات، والاشتقاق، والنحو، والأعراب، والترتيب، وأسباب النزول، ومباحث الكلام، والفلسفة والفقه.

الفصل الثاني

الرأي التعسفي في العلوم القرآنية

إذا كان مصطلح الحق في القانون هو: (الاختصاص المحجوز عليه شرعا أو قانونا لشخص معينا أو عدة أشخاص على شيء أو شخص يستأثر به وحده أو مجموعة، تحقيقا لمصلحة مشروعة يقرها القانون للحفاظ على الحق المسلوب والمغتصب)، فإن مصطلح التعسف مصطلح معاصر في القانون والفقه سواء كان وضعا أو إلهيا، (كما في الطلاق التعسفي، نقض العقد بطريقة تعسفية دون مبررا شرعيا أو عقليا، لأجل الضرر بالطرف الثاني للعقد أو الشريك). وانتقل إلى الاصطلاح الشرعي ليجد له مؤيدات شرعية لمنعه، وهذا لا يعني أن نظرية التعسف في استعمالها حديثة على الفقه الإسلامي وأحكامه، بل إن هذه النظرية استولت على أصولها في التشريع الإسلامي منذ القدم وفي الفقه والتفسير مفهوما و تطبيقا، وفي شتى المذاهب على حد السواء، ولها معايير ومؤيداتها تأصيلا وتفريعا وضبطا ونظرا وعملا أن معنى التعسف محصورا في ممارسة الحق المشروع على وجه يلحق الضرر بالغير أو يخالف قصد الشارع في التصرف المأذون فيه شرعا وعقلا، ولا يشمل التجاوز في حدوده، التفريق بين التعسف والمجاوزة: ما لو أوصى أحد بأكثر من الثلث، فإنه يعد مجاوزا حدود حقه الذي منحه إياه الشرع، وهو التصرف في حدود الثلث، ففعله غير مشروع في الأصل، لأنه لا يستند إلى حق، والتعسف فرع وجود الحق فهو إذا متعدد، لا متعسف فيه. أذن هو مخالفة قصد الشارع المقدس في التصرف المأذون فيه بالأصل، شرعا وعقلا وعرفا ونقصد أن يمارس شخصا معينا فعلا مشروعا في الأصل بمقتضى حقا شرعيا ثبت له بعوضا أو بغير عوض أو بمقتضى الإباحة، مأذون فيها شرعا، على وجه يلحق بغيره الإضرار، أو

يخالف حكمة مشروعية سواء كان الضرر معنويا أو ماديا. وهذا ما نقصده بالتعسف ممارسة شخص ما أو عالم، مؤلف أو مفسر أو فقيه أو قاضٍ، فعلا شروعا في الأصل بمقتضى حكم شرعي أو إباحة على وجه يلحق الضرر بالأخرين. بغير الحق، أما الاعتداء أو التجاوز، فإنه يفترض عملا غير مشروع أصلا. والتعسف في علم التفسير هو التجاوز في الفكر في النص القرآني والتأويل على غير ما أنزل الله من معان وتأويلات، وهذا لا يحققه ألا المعصوم من نبي أو أمام، والباقي من الأولياء هم ناقلوا التفسير عنهم، والا وقعوا بالمحذور.

المطلب الأول ـ معايير الرأي التعسفي في التفسير:

إن وضع معايير الفعل التعسفي يساعد في ضبط هذا الفعل و تحديد ماهيته، ويساعد هذا الترتيب الجزاء المخصص له، من المنع أو الإجبار أو التضمين، ذلك أن صاحب الحق في تصرفه قد يكون له أكثر من غاية، منها ما هو مشروع، ومنها ما هو ممنوع شرعا وغير ذلك، وقد يكون من الصعب جدا الكشف عن قصده ونيته، إلا أن القرائن الداخلية والخارجية والقريبة والبعيدة والملابسات و ظرف الحال، و تحديد معايير تضبط الفعل، كل ذلك يخدم المفسر والفقيه والمؤلف والقاضي وولي الأمر عند الحكم في مسائل النزاع، أو الرأي في مسألة معينة كالعقيدة والفتيا وتفسير مفهوم معين من الآيات الكريمة، وتقسم هذه المعايير بوجه عام إلى قسمين:

١. المعيار الذاتي أو الشخصي: هو ذلك النظر في العوامل النفسية التي حركت إرادة ذي الحق إلى التصرف في حقه، من قصد الإضرار بالغير أو تحقيق مصالح غير مشروعة. والإضرار بالغير، وهو من أقدم المعايير ظهورا ودليل ذلك ظهوره في الشرائع القديمة وهذا لمخالفته لمبادئ الأخلاق والعدالة، وطالما نهت الشريعة الإسلامية عن القصد إلى الإضرار بالغير وهو الثابت في القرآن والسنة.

٢. المعيار المادي أو الموضوعي: هو الذي يعتمد ضابط التناسب بين ما يجنيه صاحب الحق من نفع أو مفسدة، وسيلة في الموازنة.

المطلب الثاني ـ الرأي التعسفي في الإحكام القرآنية:

أقر الإسلام أحكامه الشرعية من مفاهيمه القرآنية فهي المنبع الأصلي النقي في ذلك، ومنها الطلاق إذا وصلت الحياة الزوجية إلى طريق مسدودا، فالطلاق مشروعا للضرورة القصوى ولا يكون لمجرد العبث والهوى، فيكون مبغوضا من غير حاجة إليه، وهو طلاق التعسف كما صنفه

الفقهاء المعاصرين والقانون الوضعي في المحاكم الدولية، إذ لا ينكرون أن الزوج قد يسيء في استعمال حقه، بقصد الإضرار بالزوجة أو(عقد النكاح)، وهنا يبرز الإشكال حيث أنه رغم اتفاق فقهاء الإسلام على مشروعية الطلاق إلا أنهم اختلفوا في أصل هذه المشروعية بين أن تكون في أصلها الإباحة أم الحضر. فجمهور فقهاء المسلمين، قالوا بأن الأصل في الطلاق أن يكون محظورا، ولا يباح إلا للحاجة، و هذه الحاجة تختلف نسبيا من زوج للآخر، فقد تكون نفسية أو مرضية أو أي دافع آخر لا يستطيع الزوج معه الاستمرار في الحياة الزوجية مما لا يجوز إعلانه بين الناس أو عرضه أمام أنظار القضاة، وبالتالي فلا يجوز إيقاعه إلا بإذن القاضي منعا للتعسف في استعماله، واشتهر قولهم: (تقييد الطلاق بالسبب الذي يدعو إليه)، حيث أوجبت الشريعة الإسلامية معاشرة الأزواج بالحسنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢٨]، فالواجب على الزوج الكاره لزوجته محاولات الإصلاح لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[٢٩]، ومنه قوله الرسول ﷺ: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة)[٣٠]. فاذا كان عقد النكاح علقة بين الزوجين، الزواج بيد الزوجة والطلاق إيقاع بيد الزوج، فالزواج بناء البيت والعائلة والمجتمع وهو بيت الإسلام وافضل بيت بني بالإسلام هو الزواج فاذا صلح، صلح المجتمع وهو بناء الأواصر الاجتماعية بين القبائل والشعوب، وهو ابغض بيتا عند الشيطان وهدمه هدم الإسلام ولذلك هنالك عقوبة على الطلاق دون سببا معنويا أو ماديا، فالطلاق بلا سبب ظلما وبغيا، فيكون تعسفا ألا اذا كان بإيقاعه مشروعا للطرفين أو أحداهما، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[٣١]. وسمي بـ (الطلاق التعسفي) كون الزوج صاحب الصلاحية في إيقاعه، قد يستخدم هذه الميزة الممنوحة له على خلاف مقاصد الشريعة المقدسة والعرف السوي، وهو إنهاء الرابطة الزوجية عندما لا يجد سببا مبررا لانفصاله، فلا يجوز استخدام الطلاق وسيلة لإيذاء الزوجة.

الفصل الثالث

تجنب التعسف في استعمال الرأي

المقصدالأول - الرأي الشخصي في التفسير الخاطئ

أن مبدأ عدم التعسف في استعمال الحق، أحد أقدم المبادئ الثابت في النظام الإسلامي، وبالرغم من أهمية هذا المبدأ في سياق الحكومة الإسلامية ونظامها العادل، وبالنظر للواقع العملي وحجم الانتهاكات التي قد تندرج تحته من الآراء التعسفية كما في التفسير(النص القرآني) والسنة النبوية (علم الحديث) ينتج أحكام تعسفية من العقائد والفقه وحتى القضاء الشرعي وغيرها؛ إلا أن صعوبة الإثبات التي يقتضيه الاستناد إليه، تفسر قلة استناد من المفسر وإقراره بالمسؤولية على أساس الدليل النقلي والعقلي، ومع ذلك، نجد مبدأ عدم التعسف في استعمال الحق في الدين الإسلامي موجود وبكثرة، ونتج عن عدمه مذاهب فقهيه رئيسة كثيرة ابرزها الستة الرئيسية وبعض المذاهب اندثرت كمذهب سفيان الثوري، ومن هذه المذاهب خرجت فرق كثيرة، وهنالك مذاهب(مدارس) كلامية عقائدية فكرية، الرئيسية منها مدرسة أهل البيت والأشعرية والمعتزلة...وهذا كله بسبب التعسف في الرأي وهو ضد الحق. نجد أن مبدأ عدم التعسف في استعمال الحق مبدأ جوهريا من ضروريات الإسلام وقوانينه، والتحجر الفكري يؤدي إلى التفكير التعسفي السلبي، ومن التعسف في النوع الإنساني في المجتمع، جاء النص القرآني والحديث النبوي وفي الأثر لما ورد عن المعصوم علاج لذلك، فقول الحق يكون ردا للتعسف، فمثلا التفريق على أساس القومية فهذا عربي وهذا أعجمي، وكما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٢] وفي الحديث عن الرسول ﷺ(سلمان منا أهل البيت)[٣٣]، والأسود أو الأبيض جنس بشرة بني ادم، حيث نهى النبي ﷺ عن التمايز أو أن ينعت المرء على أساس لونه، أو لقباً فاحشا يوضع له يؤثر عليه معنويا، أو على أساس المنطقة والقبيلة أو النسب أو المهنة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٣٤]. قال الإمام

أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة): ولا تنابزوا بالألقاب (قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحد منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله، إنه يغضب من هذا. فنزلت: ولا تنابزوا بالألقاب[٣٥]. وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣٦] فالمعيار هو التقوى، والجهاد بكل أقسامه مع الإخلاص لله. وتفضيل الذكر على الأنثى تعسفا في المجتمع، وقد ذمهم الله تعالى في قوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[٣٧]، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[٣٨].

في هذا البحث المخصص لبطلان التفسير بالرأي السلبي، تفسيرا لبعض الآيات غير المنطقية، فلابد للقارئ من التنبه من هكذا تفسيرات للآيات الكريمة. ويمكن مقارنة البلاغة اللغوية ومسألة معايير التفسير التعسفي في التفسيرات الأخرى الموجودة عند الشيعة والسنة من أجل تحديد قوة هذه التفسيرات وبلاغتها ومن قواعد التفسير مراعاة اختلاف القراءات في آيات القرآن. وبطبيعة الحال في هذا الصدد، وهنالك قيد على أن يتناول المفسر تلك الاختلافات في القراءات التي لها تأثير في المعنى ويمتنع عن ذكر القراءات الأخرى. وبالطبع لا داعي لذكر القراءات الشاذة في القراءات الفعالة أيضاً، بل ينبغي الامتناع عن ذكرها. وفي الأبحاث يمكن المقارنة من وجهة نظر القراء أيضا أصحاب الاختصاص. والتي تعتبر المقارنة والتقييم محدودا، وخارج نطاق المقالة. ولذلك فقد تم تحديد هذا الحصر في تقييم هذا البحث، وأدعو المفسرين بعد الركون والميل للتفسير التعسفي فهو إضاعة للحق الذي انزله الله وحثنا عليه. وربما يرد بإن القران هو كلام الله وهو حمال معاني فالمفسر حمل المعنى وفقا للغة العربية ومعاجمها، ويرد بان مراد الله يعرفه ممن نزل عليه كتاب الله فهو الأقرب لمعرفة الغاية والمراد الإلهي، ولان العرب أنفسهم كانوا يسئلون المنزل عليه(الرسول) عن الغاية والمقصد ولم يسئلوه عن المعنى لانهم اعرف بالمعني من غيرهم كونه قد نزل عليهم، إن التفسير الصحيح عند المسلمين له مكانة كبيرة فهو المنهاج والدستور ونظام الأمة والمجتمع عموما، وسبب أعراض اغلب المسلمين والقراء عن قراءة التفسير بسبب التعسف الموجود

في كل الكتب التفسير بدون استثناء.

المقصد الثاني - أثر التفسير التعسفي على العقيد والأحكام الشرعية:

إن التفسير بالرأي أدى عبر التاريخ إلى ظهور اختلافات حادة في العقيدة، وأدى إلى تفاسير متناقضة لبعض الاخكام الشرعية، مما اثر سلبا على وحدة الفكرالإسلامي.

إن الاعتماد على التفسير بآيات تفسر تفسيرا تعسفيا أدى إلى إدخال بعض المفاهيم غير الصحيحة،إلى عقيدة الإسلامية، مما استلزم تصحيحها عبر التفسير العلمي الموضوع.

أثرالمرجعية القرأنية والسنة الصحيحة في التفسير الصحيح:

- القران الكريم هو المصدر الإساسي للتشريع ولابد من فهمه وفق الضوابط التي وضعها أهل البيت عليهم السلام الراسخون بالعلم.
- السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني في التفسير، وهي التي توضح وتفسر المجمل من الأيات وتبين الأحكام الشرعية.

أهمية علوم القرآن في ضبط التفسير:

ينبغي للمفسر الإلمام بعلوم القران (الناسخ والمنسوخ، أسباب النزول، المحكم والمتشابه...) ضروري لمنع الوقوع في التأويلات الخاطئة. ولابد من ضبط قواعد التفسير يساعد على منع الاجتهادات الشخصية التي تبتعد عن مراد الله في النص القرأني.

الحاجة إلى تطوير منهج تفسيري متوازن:

لابد من تبني منهج تفسيري قائم على الجمع بين الأدلة النقلية والعقلية مع الالتزام بعدم الخروج من إطار القواعد اللغوية والشرعية.

وضرورة تعزيز الدراسات التفسيرية القائمة على البحث النقدي والاستدلال العلمي بعيدا عن الأهواء والتعصب المذهبي.

النهي عن التفسير بالراي التعسفي من الادلة النقلية والعقلية:

وأما الاحاديث الواردة بعدم التفسير بالرأي والإفتاء في آيات الأحكام بالرأي والاجتهاد كثيرة جدا، وصحيحة السند والدلالة منها:

١. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ معقده من النار)[٣٩]، (ومن فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب [٤٠].

٢. عن النبي ﷺ: (ومن فسّر القرآن برأيه فقد افترى على اللّه الكذب)[٤١].

٣. عن علي عليه السلام: قال اللّه جلّ جلاله: (ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي)[٤٢]. ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٤٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٥]، وقول الرسول ﷺ: قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي)[٤٦]. وعن رسول الله ﷺ: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[٤٧]، فإنما أراد الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، وكذلك لا يجوز تفسير القرآن به. وأما الرأي الذي يسنده البرهان فالحكم به في النوازل جائز، فإنما أراد فقد أخطأ الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه، وسبب نزوله، وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة؛ الذين شاهدوا تنزيله، وأدوا إلينا من سنن رسول الله ﷺ ما يكون تبيانا لكتاب الله قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤٨]، وسبب كتابة المقالة، لكي ارفع التفسير بالرأي والاجتهادي (التفسير التعسفي)، دليلا وبرهانا، فقد ذهب أصحاب السلف الصالح إلى عدمه، وترد دعواهم بإن التفسير بالرأي غير جائز، وطرحت الأدلة العقلية والنقلية ودعمت المقالة بالبراهين، وكانت النتائج مطابقة لسنة الرسول ﷺ وعلى نهج الشريعة المقدسة بعدم الاجتهاد بالرأي في التفسير، والمخالف شاذا، لا قيمة لرأيه. وفائدتهما عقدية وروحية وعملية وتتوقف عليه نظام الإمة والأحكام الدستورية الإسلامية، وكلها فيها تقربا لله، وتتوقف عليه رضاه. أن التفسير التعسفي هو تفسير غير عادل ولا أنصاف فيه، ونابع من نزعات فكرية وأوهام طائفية، لم يتم التحرر منها ومن العقد النفسية،

واقترح منهجا جديدا في تفسير القرآن الكريم، وظهور أسلوب التفسير التحليلي، والأدبي والبلاغي والاستدلالي للقرآن، وخصوصا التفسير الموضوعي للقرآن، واستناداً إلى الكتاب والسنة والعقل، ردا على آراء ونظريات المخالفين.

المقترحات:

في هذا البحث المخصص لتحقيق معايير التفسير بالرأي التعسفي، بعد بيان الكليات والمباني النظرية، ودراسة خصائص ومميزات التفسير يتم عرض الاستنتاج ويتم تقديم الاقتراحات.

١. ضرورة وضع معايير صارمة للتفسير العلمي للقرأن الكريم تعتمد على الادلة النقلية والعقلية الموافقة مع اصول الدين وثوابته.

٢. تعزيز الدراسات الاكاديمية حول التفسير التعسفي وأثره السلبي على فهم الإسلامي الصحيح.

٣. تشجيع الباحثين على الرجوع إلى التفاسير المعتمدة التي تستند إلى منهج صحيح وفق منهج اهل البيت عليهم السلام.

٤.اعداد دراسات مقارنة بين التفاسير المختلفة لبيان الاختلاف وإيضاحأسبابها وفق أسس علمية رصينة.

٥.اعادة النظر في بعض التفسيرات القديمة التي قامت على اجتهادات شخصية بعيدة عن النصوص الشرعية الموثوقة.

٦.عدم جواز التفسير بالرأي التعسفي، ثبت من خلال الأدلة النقلية والعقلية أن التفسير بألرأي ١لتعسفسي مرفوض وهو ما أكده القرآن والسنة النبوية، والروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام تحذر بشدة من التفسير الذي يعتمد على الاجتهادات الشخصية دون دليل شرعي واضح.

٧.ضرورة التفسير وفق منهج علمي دقيق، يعتمد التفسير الصحيح على معايير وضوابط محدد، اهمها الرجوع إلى تفسير المعصومين عليهم السلام وفهم النصوص في سياقها اللغوي والتاريخي.

٨.لايجوز الاعتماد على الفرضيات العقلية المجردة في تفسير القران دون وجود أدلة داعمة من النصوص الشرعية.

التوصيات:

بعد ان اتضح أن التفسير بغير مراد الله باطل، فرأي المعصوم وحده الكاشف عن غاية الله، وهذا ما نريده ونسعى إليه فكتاب الله لا يكون عرضة للآراء غير المعصومة والاجتهادات الشخصية وفرضيات الأفكار، فكلا يريد أن يدلو بدلوه في هذا الباب من المفسرين وغيرهم، فيكون التفسير تفسيرا تعسفيا، كما لاحظنا في الحلال والحرام فيعطي الفقيه رايه اجتهادا ثم يتضح له شيء أخر فسرعان ما يغير رأيه، وكذلك في العقيدة فعلماء السلف لا يفرقون بين العقيدة الحقة والفاسدة، فيخلطون فيما بينها، لعدم فهم الآيات وتفسيرها ليخرجوا بنتيجة تعسفية سلبية حسب غاياتهم، فيفسدوا كثير من العقائد الحقة والعبادات الصحيحة، بحجة الأشراك تحت مصطلح لا تصح العبادة ألا لله، وغفلوا بإن في كثير من العقائد والعبادات أراد الله أن يمثله النبي والولي والخليفة، فنقول نبي الله، وولي الله، وخليفة الله... وهذه الإضافات لله هي من باب (مقام العبودية والطاعة) فالمعصوم هو جند مجندا وعبدا مطيعا لمولاه في عالم الطبيعة.

أوصي الباحثين إلى عدم الالتزام والالتفات إلى مفهوم الرأي التعسفي، سواء كان تفسير أو في أصول الدين وفروعه، واحذر من الأخذ منه تعصبا (لمذهب أو فرقة) أو تعاطفا (لقداسة عالم معين).

١. يجوز التفسير بالرأي في مواضع منها، لم يفسره الرسول واهل بيته عليهم السلام.

٢. اللغة لها عدة معاني للفظ الواحد يستطيع المفسر بذكائه وحنكته إن يجد مناسبة لبعض الألفاظ تتلاءم مع معنى الآية ونزول النص القرآني وهذا يتوقف على الذوق التفسيري ومخالطته للنصوص القرآنية وأحاديث النبي وروايات العترة الطاهرة فهي ملاصقة لزمان النزول وهي لغة نزول النص القرآني ولغة من نزل عليهم القران وخاطبهم بها.

٣. ربط الأحداث التاريخية والقصص بتفسير آيات الأحكام، لها مقاصد فبعد فهم ومعرفة المقصد نستطيع فهم النص القرآني فهما دقيقا عميقا.

الخاتمة:

نختم بحثنا بإن تعد دراسة التفسير القرآني من المجالات العلمية العميقة التي تتطلب فهماً دقيقاً وموضوعياً للنصوص القرآنية. هذا البحث تناول عدداً من الأبعاد الأساسية التي تضمن التفسير الصحيح والمتوازن للقرآن الكريم. وقد تم الوصول إلى عدة نقاط هامة في هذا المجال، ومن أبرزها:

١. البحث عن مدلول كل لفظ خاص أو عام مختص أو مشترك.

٢. البحث عن أثر القرآن في التاريخ، ودوره العظيم في بناء الإنسانية وهدايتها.

٣. أن لا يكون منهج المفسر، يؤدي إلى شكل من أشكال الحرمان الفكري، وضياعا الحق المبتغاة.

٤. أن لا يكون للمفسر، رأيه متناسباً مع غايته المتوخاة، ومعقولة بطريقة معينه وضرورية، ومتناسبة مع مبناه، أو مبنى مذهبه.

النتائج:

بعد دراسة وتحليل النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة تول البحث إلى النتائج الاتية

توصلت في هذا البحث إلى إن بعد تحليل الروايات والآيات المستدل بها علميا أتضح لي عدم جواز التفسير بالرأي التعسفي لدى المفسر المسلم العادل المنصف، خصوصا في الأحكام العقدية وأحكام الحلال والحرام، والتفسير الصحيح هو الرجوع لروايات المعصوم (النبي أو الأمام) وأما الصحابة العدول هم رواة الأثر، ومن أنكر ذلك بحجة تعطيل العلوم؟ فيرد عليه أن التفسير بالراي هو سبب التفسير التعسفي، وما نحن عليه اليوم، ولم يرد فيه دليل مقنع من التفسير بالاجتهاد والراي، وإنما أحاديث موضوعة وضعيفة، والمسألة تابعة للدليل والعقل خير دليلا وبرهان على ذلك،

وأثبت بعض تفسير الآيات التي هي أصول الشريعة وفروعها بالرجوع إلى القرآن الكريم وأقوال أهل البيت عليهم السلام ولذلك سعت التفسيرات الكلامية دائمًا إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

أ- بيان الاستدلال المخالف استنادا إلى الآيات الموافقة للأصول.

١. الاعتماد على القرآن في إثبات أصول الدين والمذهب. قد سعى البعض إلى تحقيق الهدفين بطريقة واسعة وموسعة. مثل: الفخر الرازي، والبعض الآخر يشترط في تفسير القرآن أن يكون أبداعا ومضغوطا وشاملا. ويناقش الآيات الكلامية، ونظيره تفسير التبيان للشيخ الطوسي الذي يسعى إلى تحقيق الهدفين المذكورين، ويحاول الشيخ الطوسي في التبيان في تغطية جميع البحوث التفسيرية وليس فقط الكلامية بإيجاز غير مخل وأطناب غير ممل.

٢. يتضح مما تقدم أن التفسير البعيد عن الواقع هو تعسف لا يأخذ به عند المنصفين

٣. أن الرأي في التفسير الغير قائم على الإدلة والبراهين هو تفسيرا تعسفيا لا يمت للعلم بصلة.

التحذير من التفسير التعسفي: يجب على الباحثين والمفسرين أن يكونوا حذرين عند التعامل مع القرآن الكريم، وألا يعتمدوا على تفسيرات تعسفية بعيدة عن النصوص الشرعية الصحيحة، ولا تفرض اجتهادات أو أراء خاصة على النصوص.

ب. إمكانية التفسير بالرأي في حالات:

١. البحث عن مدلول كل لفظ أو جملة في القرآن: يجب أن يكون المفسر على دراية كاملة بالمعاني الدقيقة للألفاظ القرآنية، حيث أن كل لفظ يحمل دلالة عظيمة تحتاج إلى فهم عميق.

٢. البحث عن إعجاز القرآن: القرآن الكريم يتميز بإعجاز لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله، ولهذا فإن البحث في جوانب الإعجاز القرآني من أوجه متنوعة يعد ضرورة لفهم عظمته.

٣. البحث عن أسباب النزول: معرفة سبب نزول الآية يساعد في فهم المقصود من الآية في سياقها التاريخي والاجتماعي، مما يساهم في تبيان معانيها.

٤. البحث عن الناسخ والمنسوخ: فهم التناسخ والمطلق والمقيد.

كل ما تقدم من اجل ان يكون البحث قد قدم رؤية وإضحة حول مخاطر التفسير التعسفي وأهمية تبني منهجا علميا دقيقا.

هوامش البحث

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٢) العين، الفراهيدي: ٣٦٨/٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٦) سورة أل عمران، الآية ٩٧.
(٧) التبيان، الشيخ الطوسي: ١ /١١.
(٨) سورة هود، الآية ١.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٢.
(١١) التبيان، الشيخ الطوسي: ٢ /٣٩٦.
(١٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٣.
(١٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(١٤) التبيان، الشيخ الطوسي: ٣١٧/٤.
(١٥) صحيح، مسلم: ٧ /١٢٣.
(١٦) السنن، الدار قطني: ٥ /٤٤٤٦/٣٧٢.
(١٧) سورة المائدة، الاية:٥٥.
(١٨) سورة المائدة، الآية ٥٤.
(١٩) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٢٠) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٤٠١/١٢.
(٢١) سورة المائدة، الآية ٥.
(٢٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.
(٢٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ٩٩٤/٢.
(٢٤) سورة الشعراء، الآية: ٦١.
(٢٥) سورة يونس، الآية ٩٠.

(٢٦) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٢٧) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ١٣/ ١٢٦.
(٢٨) سورة النساء، الآية: ١٩.
(٢٩) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٣٠) تفسير، الطبري: ٤٧١/٤.
(٣١) سورة الطلاق، الآية:
(٣٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣٣) مجمع الزوائد، الهيثمي: ١٣٠/٦.
(٣٤) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٣٥) تفسير، ابن كثير: ٥١٦.
(٣٦) سورة التوبة، الآية: ١٩.
(٣٧) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٣٨) سورة النساء، الاية: ١١.
(٣٩) سنن، الترمذي: ٤/ ٢٦٨؛ تفسير، الطبري: ٥٥/١.
(٤٠) إكمال الدين، الصدوق: ١ /٢٥٧.
(٤١) البرهان في تفسير القرآن، البحراني: ١ / ١٨؛ ا وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٢٧ /١٩٠، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي، الباب ١٣، الحديث ٣٧.
(٤٢) المصدر السابق، ح٢٨.
(٤٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦،
(٤٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.
(٤٥) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٤٦) بحار الأنوار، المجلسي: ١١٠/٩٢.
(٤٧) كنز العمال، المتقي الهندي: ٢٩٥٨.
(٤٨) سورة النحل، الآية: ٤٤.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القران الكريم.

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي(ت١١١٠هـ) (بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م).

٢. البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ)، طهران، منشورات علمية، ٢٠١٣م.

٣. السنن، محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٤. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)، قم، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٥. السنن، علي بن عمر الدار قطني، (ت٩٩٥هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م.

٦. التفسير الكبير، فخرالدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، بيروت، إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٧. إكمال الدين، محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، النجف المطبعة الحيدرية.

٨. تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م.

٩. تفسير القرآن الكريم، إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م.

١٠. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ). بيروت، دار أحياء التراث العربي، ٢٠١٦م.

١١. الصحيح، مسلم، بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، (بيروت، دار الكتب، ٢٠١٠م).

١٢. المجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، القاهرة، الناشر: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

١٣. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي الدكتور أبراهيم السامرائي، إيران، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

١٤. كنز العمال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) (بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠١٦م).